

الأخلاقيات والسلوكيات - مقال

سألنى صديق عاقل : لماذا بدأت تختفى من حياتنا كلمة الأخلاق وتحل محلها كلمة السلوكيات ؟ وكان السؤال مفاجئاً ، فلم أستطع حينئذ أن أجيب عليه (وبالمناسبة ليس من الضروري أن يجيب الإنسان عن كل ما يلقي عليه من أسئلة) لكننى رحنت أفكر فى سؤاله ، الذى ظهر لى أنه سؤال حقيقى بالفعل . وقلت لى نفسى : لعل الأمر راجع إلى التطور الذى نشهده فى كل المجالات ، ولذلك حاولنا أن نستدل بكلمة أخلاق (القديمة) كلمة سلوكيات (الجديدة) ! لكننى عندما تأملت الكلمتين ، وجدت أن كلمة أخلاق تشمل مجالاً واسعاً فسيحاً ، وأن كلمة سلوكيات ليست إلا جزءاً بسيطاً من هذا المجال ..

وعندما بحثت المسألة فى بطون الكتب ، وجدت أن الأخلاق هى جمع لكلمة (خُلُق) ، وأن المخلوق عبارة عن دافع داخلى وسلوك خارجى .. مثال : الشجاعة خلق فاضل ، ولكى يوجد لابد أن تتوازر دوافعه فى نفس الإنسان ، ثم تظهر آثاره على جوارحه ، فينتقل للأخطار ولمساعدة الآخرين بدون خوف أو تردد . مثال مضاد : البخل خلق سئ ، ولكى يوجد لابد أن يكون الإنسان شحيحاً فى أعماقه ، يكره أن يعطى الآخرين مما لديه ، بل إنه يكره أن ينفق حتى على نفسه ، أما مظهره فتبدو من خلال تصرفاته وسلوكياته مع الناس فى المجتمع ..

السلوكيات إذن هى المظهر الخارجى للأخلاق . أو هى المانعكاس لما فى الباطن . ولذلك إذا أردنا أن نفهم جيداً حقيقة السلوكيات يلزمنا أن ندرك حقيقة المشاعر والدرجات والإرادة الداخلية للإنسان .

وبناء على ذلك ، فمن الخطأ أن نهجر كلمة الأخلاق ، التي هي المظلة الكبرى للدوافع الداخلية والسلوكيات الخارجية . وأستطيع أن أقول أن 90% من الأخطاء التي نلاحظها حولنا ترجع إلى عدم مراعاة الأفراد للجانب الأخلاقي . فالفلاح الذي يستخدم المهرمونات يغش الناس ، والغش خلق رديء . والمصانع التي يهمل في إتقان المنتج المتخصص فيه ، يصدر في ذلك عن خلق سيء ، وهو الإهمال وعدم الإتقان ، والتاجر الذي يسوق سلعة فاسدة يكون عديم الضمير أو مريض القلب والإحساس ، والموظف الذي يعطل مصالح المواطنين شخص جدير بالاشمئزاز !

والنتيجة أن سؤال صديقي العاقل جعلنى أبدأ المسير فى طريق طويل .. طويل جدا.